المدلول الثقافي لواجهات المباني السكنية دراسة حالة: مدينة جرجا بصعيد مصر

أ.د. عزت عبد المنعم مرغني

أستاذ العمارة بقسم الهندسة المعمارية، ووكيل كلية الهندسة لشئون التعليم والطلاب،كلية الهندسة، جامعة أسيوط، مصر

م. بكر محمود نصار

مهندس معماري، رئيس مجلس إدارة شركة ثقة العقارية، القاهرة، مصر

المدلول الثقافي لواجهات المباني السكنية
دراسة حالة: مدينة جرجا بصعيد مصر

عزت عبد المنعم مرغني
أستاذ العمارة بقسم الهندسة المعمارية، ووكيل كلية الهندسة لشئون التعليم والطلاب،
كلية الهندسة، جامعة أسيوط، مصر.
بريد الكتروني: ezzatmorghany@yahoo.com

بكر محمود نصار
مهندس معماري، رئيس مجلس إدارة شركة ثقة العقارية، القاهرة، مصر.
بريد الكتروني: bakr.nassar@gmail.com

الملخص

تنتمي العمارة إلى عالم الرموز ، وكل مظهر من مظاهر المبنى هو في حقيقته تعبير مجازي عن فكرة، أو ظروف، أو مؤثرات، والمبنى كمنتج معماري، من الممكن أن يعمل كوسيط مرئي، ينقل فكرة أو معنى، من خلال التعبير عن أفكار خارج حدود الخواص المادية للمبنى، كالتعبير عن المكان، أو الزمان، أو الحالة الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، للجماعة.

ويعد النتاج المادي للعمارة أحد وسائل التعبير عن الثقافة بمستوياتها المختلفة، ومن ثم فإن أي تغير ثقافي يمر به المجتمع قد يتبعه تغير في ملامح النتاج المعماري المادي المعبر عن المجتمع، فالعلاقة بين الثقافة والعمران علاقة تبادلية، فالثقافة من أهم عناصر صياغة وتشكيل العمران؛ كما أن العمران يساهم في تحديد ملامح المجتمع الثقافية، لذلك فإنه عند رصد العلاقة التبادلية بين الثقافة والعمران قد يكون من الأسهل تتبع تأثير الثقافة على العمران؛ لأن نتائجه تكون مادية وملموسة. تهدف الورقة البحثية إلى دراسة العلاقة بين واجهات المباني السكنية والمستوى الثقافي لقاطنيها، والبحث مكون من جزئين:

الأول- يتضمن الطرح النظري لموضوع البحث.

والثاني – يتضمن دراسة تطبيقية لحالة دراسية (وهي مدينة جرجا بصعيد مصر، وهي مدينة قديمة تجمع العديد من الطبقات الاجتماعية، ومرت بكثير من التغيرات الثقافية) من خلال الزيارات الميدانية، والتوثيق لنماذج من واجهات مباني أحيائها المتمايزة بصريا وعمرانيا، وكذلك الاستبانات لعينة من سكان تلك الأحياء.

يخلص البحث إلى أنه قد تكون علاقة غير مباشرة بين المستوى الثقافي للسكان وواجهات مسكنهم، إلا أن هذه الفرضية من الصعب إثباتها في ظل أن نسبة كبيرة من السكان هم مستأجرون، ولم يكن لهم تأثر على تصميم الواجهات، ولكن واجهات المباني السكنية في منطقة أو جزء من المدينة من الممكن أن تعطي دلالة عن ثقافة فترة زمنية أو طبقة اجتماعية، لكنها ليست ذات دلالة مباشرة لثقافة سكانها كأفراد.

الكلمات المفتاحية: واجهات المباني السكنية – الدلالات البصرية – المدلول الثقافي – مدينة جرجا

١/ مقدمة.

علاقة شكل المسكن عموما بالمؤثرات الثقافية من الموضوعات التي كان لها نصيب من الدراسة، وتعد دراسة *Rapoport* والتي نشرها عام ١٩٦٩ في كتاب تحت عنوان *House Form and Culture* من أشهر الدراسات التي تناولت ذلك الموضوع ، حيث قدم نظريات متعددة لتفسير شكل المسكن، وانتهي إلى أن المسكن ظاهرة مركبة، ولا يمكن أن يكون لها تفسير وحيد، وجميع التفسيرات ممكنة؛ واستجابة الناس للظروف والموقع تختلف من مكان لآخر نتيجة لتغير المؤثرات والأولويات، وأشار إلى أن تلك المؤثرات وحدها ليست كافية لتفسير تنوع أشكال المساكن في نطاق جغرافي واحد، أو تشابه الأشكال في نطاقات جغرافية متنوعة، وقد يحدث أن نجد أشكالا قد تبدو منطقية ولكنها ليست نتيجة لحل مشاكل تطبيقية؛ فاستخدام الشكل مع اختلاف الموقع والظروف قد يكون ناتجا عن الاعتقاد بصلاحية الشكل أكثر منه، محاولا لحل مشكلة لها محدداتها الخاصة، وخلص في دراسته إلى أن المسكن يمثل ظاهرة ثقافية قبل أن يكون كيانا ماديا، وشكله وعناصره تتأثر بثقافة مستخدميه (Rapoport, 1969).

وباعتبار واجهات المبني تمثل الواقع المادي للشكل الخارجي له والناتج عن مجموعة من المؤثرات، والذي يمكن أن يحمل أكثر من معنى، فإن السؤال الرئيس يحاول البحث الإجابة عنه هو: هل هناك ارتباط بين واجهات المباني السكنية (سواء على مستوى المبنى الواحد أو المنطقة السكنية) وبين ثقافة ساكنيها؟ وهل تحمل تلك الواجهات مدلولا ثقافيا يمكن استنتاجه عند مشاهدتها؟.

يعبر السؤال السابق عن الإشكالية الأساسية التي تناقشها الورقة البحثية، وتفترض الورقة البحثية أن الشكل الخارجي للمباني السكنية والذي تمثله الواجهات من الممكن أن يكون له دلالات لها علاقة بثقافة المجتمع خلال فترة زمنية في مكان محدد، ومن ثم فإن الورقة البحثية **تهدف** إلى دراسة العلاقة بين واجهات المباني السكنية والمستوى الثقافي لقاطنيها.

وفي سبيل تحقيق هدف البحث تنقسم الدراسة إلى جزئين:

-الجزء الأول: عبارة عن الطرح النظري للمفاهيم التي يتناولها البحث؛ لأن موضوعه من الموضوعات التي تتعدد فيها الآراء، والتي يمكن مناقشتها بأكثر من مدخل، لذا قد يكون من المهم الاتفاق على المفاهيم التي يتبناها البحث.

-الجزء الثاني: دراسة تطبيقية يتم خلالها دراسة العلاقة بين واجهات المباني السكنية عموما وثقافة مجتمعها، من خلال حالة دراسية (وهي مدينة جرجا بصعيد مصر وهي مدينة قديمة تجمع العديد من العصور والطبقات الاجتماعية، ومرت بكثير من التغيرات الثقافية)، من خلال الزيارات الميدانية، والتوثيق من خلال الصور الفوتوغرافية لنماذج من واجهات مباني أحيائها المتمايزة بصريا وعمرانيا، وكذلك الاستبانات لعينة من سكان تلك الأحياء.

٢/ واجهات المباني: المفهوم والمحددات.

الشكل الخارجي هو واحد من عدة عوامل تهم المعماري عند حكمه على مبنى ما، فهو يدرس مساقط المبنى وقطاعاته وواجهاته، آخذا في الاعتبار أن هذه العناصر يجب أن تكون متناسقة فيما بينها؛ لكي يكون المبنى جيدا، والواجهات هي الواقع المادي للشكل الخارجي للمبنى،والذي يمثل الغلاف الخارجي والحد الفاصل بين الفراغات الداخلية للمبني والبيئة الخارجية المحيطة به، وفي الوقت نفسه فإن واجهات المباني تعد بمثابة الحائط المحدد للفراغ العمراني، وتدرك كجزء من المحيط العمراني، فالواجهات تعطي للمبنى الشخصية الخاصة به، بالإضافة إلى دورها في تشكيل مسارات الحركة والملامح الخاصة بالفراغ العام.

وواجهات المباني السكنية هي ما يشكل الصورة البصرية للمدينة المعاصرة؛ وباستثناء بعض المباني المميزة ذات الأهمية الخاصة – والتي تمثل معالم بصرية مرجعية لا يمكن إغفال تأثيرها– فإن ما يراه المشاهد المتحرك في المدينة هو حصيلة لمجموعة متتابعة من واجهات مباني سكنية عادية، تلبي احتياج السكن الأساسية للغالبية العظمى من قاطني المدينة (مرغني، ٢٠١٣).

وإذا كان من المتعارف عليه أن البيئة الداخلية للمسكن هي ملكية فردية للمستخدم، قد تتأثر بالذوق العام للمجتمع الذي يعيش فيه وتخضع لذوق المستخدم ورغباته وإمكانياته، إلا أن الواجهات الخارجية للمسكن لا يمكن التعامل معها بالمنطق نفسه؛ حيث تمثل ملكية جماعية يتشارك فيها المصمم مع المالك مع المستخدم مع المجتمع المحيط، رغم أن فرصة المشاركة في تصميم واجهات المبني لا تتاح للجميع، بل تظل طرح أو رؤية يقدمها المعماري المصمم في ظل مجموعة من العوامل المؤثرة، وتعد الخيارات الفردية للمصمم في مقدمة تلك العوامل المؤثرة على تصميم واجهات المباني بالإضافة إلى العوامل الناتجة عن البرنامج المعماري الوظيفي للمبنى أو ظروف الموقع أو اشتراطات القوانين والتشريعات، وربما تكون ثقافة المستخدم واحتياجاته النفسية والفيزيائية من أقل تلك العوامل تأثيرا في تصميم واجهات المباني السكنية (مرغني، ٢٠١٣).

وتصميم واجهة مبنى هو نتيجة لمجموعة من المحددات المتداخلة (محددات تشكيلية/ بيئية/ وظيفية / اقتصادية / ثقافية)؛ ويتم ترجمة تلك المحددات من خلال مجموعة العناصر البصرية المكونة لها، مثل: الشكل، والسطح، والفتحات، بالإضافة للعناصر ذات الطبيعة الزخرفية، مع توظيف الملمس والخواص اللونية، وغيرها من العناصر التي تعطي للمبنى التعبير النهائي الذي يراه المجتمع المحيط، والذي يمكن من خلاله استنتاج أي معلومات لها علاقة بطبيعة وظيفة المبنى، أو الفترة الزمنية، أو طبيعة القوانين والمعايير، ويمتد ذلك لطبيعة ثقافة المستخدمين وعاداتهم الاجتماعية وتصوراتهم الجمالية.

ولتصميم واجهات المباني السكنية التي تتضمن وحدات سكنية متعددة خصوصية ،تميزها عن المساكن الفردية الخاصة والمباني العامة، فهي لا تتيح للمصمم الحرية في التشكيلات، مثل: المباني العامة، أو المباني الإدارية، فالقيود الاقتصادية والتنظيمية قد تقلل من الخيارات المتاحة للمصمم، لذا ففي مجال تصميم واجهات المساكن في المدينة المصرية غالبا ما يعتمد المصمم على قائمة من موروث التطبيقات المعمارية المحلية، كما تمثل نصوص قوانين البناء والتنظيم أحد أكثر المحددات تأثيرا على تصميم واجهات المباني السكنية في المدينة المصرية خصوصا؛ حيث تحدد الارتفاعات و نسب الأبراج والبلكونات، وينحصر دور المعماري على التعامل مع تلك العناصر.

٣/ واجهات المباني: الدلالات البصرية.

تتيح اللغة للأفراد الاتصال مع الآخرين، والتعبير عن رؤيتهم للعالم حولهم، وتشير دراسات اللغة إلى أنه يمكن التعامل مع العالم الخارجي حولنا كمجموعات متتالية من الحقائق التي لها التعبير الرمزي الخاص، فاللغة نظام من الإشارات يعبر عن أفكار.

ومن أقدم الدراسات التي ربطت العمارة باللغة دراسة العالم اللغوي التشيكي Mukarovsky والذي أشار إلى أن العمارة قد يكون لها أكثر من وظيفة بالإضافة للوظيفة النفعية، ومن تلك الوظائف الوظيفة الرمزية والتي تتعامل مع الشكل المعماري كوسيلة تواصل، وكنظام من العلامات (Widdowson, 1980)، والتعامل مع اللغة كنظام علاماتي هو المدخل الذي استخدمته العمارة في التعبير المجازي من خلال الصورة البصرية، باعتبار أن الهدف من الرسالة البصرية في العمارة هو نقل المعنى، أو المضمون الفكري الذي يختفي وراء الهيكل المادي للمبنى.

السميوطيقا (Semiotics) أو علم العلامات هو العلم الذي يدرس جميع أنظمة العلامات (Signs) في المجتمع، وطبقا لتعريف Saussure فإن أسس السميوطيقا عامة صالحة لجميع أنظمة العلامات بما في ذلك العمارة، والتي يمكن التعامل معها كنظام علاماتي، ومن خلال علم العلامات يكون الاهتمام بالكيفية التي يستقبل بها المجتمع شكل المبنى، بعيدا عن حقيقته المادية. فالخواص الشكلية له هي علامات يمكن من خلالها الحصول على معلومات إضافية (Bonta, 1980)، وفي المقابل فإن Leach يعتقد بأنه من الصعب تطبيق مفاهيم اللغة لتشمل العمارة ككل، ولكن يمكن تطبيقها بصورة جزئية على الطرز والتفاصيل المعمارية (Doxtater, 1980).

ويمكن القول بأن المظهر الخارجي للمبنى ينتمي في حقيقته إلى عالم الرموز، فكل مظهر من مظاهر المبنى هو في حقيقته تعبير مجازي، لذا فإن استخدام بعض العناصر الزائفة أو المستعارة من طرز تاريخية، يمكن فهمها باعتبارها ذات وظيفة دلالية غير مباشرة (تلميح) لمعنى مطلوب إعلانه للآخرين (Eco, 2005)، فالشكل المعماري يعمل كوسيط لنقل الفكرة أو المعنى المطلوب من خلال التعبير عن أفكار خارج حدود خواصه المادية، كالتعبير عن المكان، أو الزمان، أو التعبير عن الحالة الاقتصادية، والاجتماعية.

والشكل المعماري يمكن توظيفه كرمز للوظيفة أو الثقافة الإنسانية أو القوة السياسية أو أي نوع من المعاني، وقد يحدث أن نجد أشكالا قد تبدو منطقية، ولكنها ليست نتيجة لحل مشاكل تطبيقية؛ فاستخدام الشكل مع اختلاف الموقع والظروف قد يكون ناتجا عن الاعتقاد بصلاحية الشكل أكثر منه، محاولا لحل مشكلة لها محدداتها الخاصة (Rapoport, 1969)، وهو ما يؤكد على الدور الرمزي للأشكال، فمكونات العمارة هي حصيلة لمجموعة من الاحتياجات بالإضافة للمكون الرمزي، والذي يكسب المفردات اللغوية التي يتعامل معها الشكل المعماري دلالاتها، إذن من الممكن فهم العمارة كلغة مثلما يمكن مناقشتها كفراغات وعلاقات وظيفية، وهذا الفهم هو ما يتيح تضمين العمارة مفاهيم استعارية وتحميل أشكالها موضوعات بصرية لها دلالات ذهنية (مرغني، ٢٠٠٤). والواجهة هي وجه المبنى الذي يعبر عنه وتمتد المعاني التي تحملها الواجهة، لتنقل دلالات بصرية، لها علاقة بالمستوى الاقتصادي للمكان أو الثقافي أو الزماني.

٤/ المدلول الثقافي لواجهات المباني السكنية.

الثقافة هي أحد المفاهيم المرتبطة بالإنسان فقط؛ فتاريخ الثقافة في حقيقة الأمر هو تاريخ الإنسان ككائن حي منذ آلاف سنة، ولفظ الثقافة كثير الاستخدام في كافة المجالات كما يتدخل في شتى المواضيع العامة، مما يؤدي إلى تعدد التعريفات والمفاهيم المرتبطة به، فعلى سبيل المثال تناولت بعض التعريفات الثقافة من خلال وصف وحصر مكوناتها، مثل تعريف "تايلور" للثقافة باعتبارها ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات، وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع (كوش، ٢٠٠٧)، بينما عرفت اليونسكو الثقافة كوظائف، حيث تناولت الثقافة على أنها تلك الوظائف والمعاملات والمنظومات، التي من خلالها يستطيع الأفراد في المجتمع التعبير عن أنفسهم، وتنمية مواهبهم، وإظهار تميزهم وتفردهم (مصطفى، ١٩٩٦).

والثقافة بطبيعتها فعل شعبي، فهي في كل مظاهرها تعبير عن فكر ورؤى ومواقف ومصالح مختلف طبقات المجتمع، ومن ناحية أخرى هي نظام قيمي وأخلاقي لضبط حركة الأفراد والجماعات داخل المجتمع، كما أنها محصلة لمجمل النتاج الفكري والفني المعبر عن هذا كله، ولذلك فإن الثقافة فعل شعبي متعدد المستويات ومتعدد النتاج أيضا، ومفهوم الثقافة بوجه عام يرتبط بالتراث الاجتماعي لجماعة من الناس يورثونه جيلا بعد جيل كأفراد أو جماعات، فلا توجد جماعة بشرية معروفة تستطيع أن تعيش دون أن يكون لها نظام اجتماعي معروف ومتكامل من اللغة والعادات والتقاليد والأعراف، والتي يتم نقلها عبر الأجيال، والتعبير عن طريق الرموز من خلال النتاج المادي للمجتمعات؛ فالإنسان يعبر عن ثقافته من خلال كل ما يصنعه في حياته العامة للتوافق مع البيئة وكل ما ينتجه العقل البشرى من أشياء ملموسة، ويمكن قراءتها من خلال (ما يصنعه) أو من خلال (سلوكه وأنشطته) أو من خلال (معتقداته) (ممتاز، ٢٠٠٣).

وتنقسم مكونات وعناصر الثقافة إلى مستويين: المستوى المادي، ويشمل العلوم والمعارف والتقنيات، والمستوى غير المادي، ويشمل العادات والتقاليد والعقائد والدين والأسطورة والسحر، ومن ثم فإن الجانب المادي للثقافة يتضمن كل نتاج التصنيع من آلات وأدوات، فيمكن اعتبار المسكن، والأثاث، والملابس، والسيارات، والأدوات، هي من عناصر التعبير المادي عن ثقافة المجتمع (خليل، ١٩٩٧)، ونظرا لهذه العلاقة التلازمية بين الجوانب المادية وغير المادية للثقافة، فإنه عند حدوث تغيير في إحداهما يحدث في الطرف الآخر؛ والطرف الأسرع عادة في التغيير هو الجوانب المادية بسبب التغيير السريع في معطياتها (سعد،١٩٨٠).

وللجوانب الاجتماعية والإنسانية دورٌ حيويٌّ في تشكيل الصياغات الفراغية والعمرانية لتعكس رؤية المجتمع الثقافية والحضارية، فالمسكن لا يعنى فقط الإطار الفيزيائي؛ بل يمتد إلى أسلوب الحياة وإلى نظام العلاقات اليومية، وتصميمه يفترض أنه يتعامل مع هذا النظام ويرضيه.

ويمكن تعريف المسكن بأنه (عبارة عن وعاء فيزيائي تؤثر فيه كثير من العوامل، منها : الحالة المادية، والمتطلبات الاجتماعية للأسرة، المستويات الثقافية)؛ والعبارة السابقة تشير لاستجابة المسكن المباشرة لتلك المؤثرات؛ فالمسكن كاللغة التي نتخاطب بها ونفهم بعضنا من معانيها؛ فالثراء والفقر والمستوى الاجتماعي والثقافي كلها معان يمكن قراءتها مباشرة، من حالة المسكن عموما، ومن واجهاته الخارجية خصوصا.

ويمكن النظر للبيئة السكنية كانعكاس للثقافة والقيم والعلاقات الاجتماعية والبيئية، ويمكن التعامل معه كنافذة لفهم الثقافة وعلاقتها بالبيئة (عبد الفتاح، ١٩٩٤). فالبيئة السكنية كما يؤكد Rapoport تعد وسيطا مثاليا للتعبير، حيث يستطيع ساكنوها الاختيار ضمن محددات ثقافية مرتبطة بأسلوب حياتهم، وهذا الاختيار يعكس رغبتهم في تحقيق المثل والقيم والتصورات الثقافية (Rapoport, 1969)، فالمجموعات البشرية تتمايز باختياراتها الثقافية؛ إذ تبدع كل واحدة منها حلولا مبتكرة لما يطرح عليها من مشاكل (كوش، ٢٠٠٧).

مما سبق يمكن القول بأن النتاج المادي المعماري أحد وسائل التعبير عن ثقافة المجتمع بمستوياتها المختلفة، وأي تغير ثقافي من المفترض أن يتبعه تغير في ملامح ذلك المنتج المعماري، ومن ثم فإن الشكل الخارجي للمبنى والذي يمكن التعبير عنه من خلال الواجهات، من الممكن أن يكون له دلالات ،لها علاقة بثقافة المجتمع في فترة زمنية في مكان محدد، وهي الفرضية الأساسية التي تطرحها الورقة البحثية.

وإشكالية دراسة واجهات العمارات السكنية في ظل قوانين البناء في المدينة المصرية يمكن فهمها بشكل أوضح من خلال الطرح الذي قدمه "جميل أكبر" في كتابه "عمارة الأرض في الإسلام" (أكبر، ١٩٩٢)؛ حيث ميز بين ثلاثة حقوق، تؤثر على المظهر المرئي للمدينة، وتتضح بصورة أكبر في المباني السكنية متعددة الوحدات، أو (العمارات السكنية) ، وهي النمط الغالب للمباني السكنية في المدينة المصرية عموما، وهي:

- حق الملكية: فصاحب المبنى أو المالك أيًّا كان، سواء فرد من الأهالي أو جهة حكومية، هو صاحب التأثير الأكبر في اتخاذ القرارات التصميمية فيما يتعلق بالواجهات سواء من حيث الطابع أو مستوى وجودة التشطيب، وعموما هناك اعتقاد شائع في الثقافة المصرية بأن الملاك هم أصحاب القرار في تشكيل البيئة المبنية عموما والبيئة المرئية خصوصا، ولكن الفريق المسيطر (القوانين والمحليات) له الدور الأوضح في تشكيل واجهات المباني.
- حق السيطرة: ويرجع للجهات الرسمية التي تمنح التراخيص في ظل القوانين التي تنظم عملية البناء في المدينة المصرية، وكان من نتيجتها إنتاج نماذج متشابهة لواجهات المباني، تحاول الاستفادة قدر الإمكان مما سمح به القانون، في ظل ارتفاع أسعار الأراضي وتكلفة البناء.
- حق الاستخدام: إذا كان المستخدم (الساكن) هو المالك، فقد تكون هناك علاقة بين ثقافته وشكل الواجهة التي يفضلها، بينما إذا كان المستخدم هو ساكن مستأجر للوحدة السكنية، فمن البدهي أنه ليس له دور في الشكل النهائي لواجهة المبنى، ولكنه في المقابل يمتلك حق الاختيار في استئجار الوحدة السكنية، وبما يتلاءم مع إمكانياته وثقافته، وقد يحدث أن يقيم في مسكن لا يتفق مع ثقافته لفترة زمنية، ولكنه ينتقل إلى ما يناسبه متى تغيرت إمكانياته، وقد يلجأ لإجراء تعديلات على الجزء الذي يخصه من واجهة المبنى لإعلان هويته والتعبير عن ذاته، وبالتالي تتسم المنطقة بطابع عشوائي يعبر عن الثقافات الفردية المتعددة داخل إطار واحد، هو واجهة المبنى السكني.

وتطبيق الفهم السابق فيما يتعلق بحق الاستخدام هو ما يعطي مدخلا مقبولا لدراسة العلاقة بين واجهات المباني السكنية عموما وثقافة ساكني تلك المباني.

ويمكن توضيح دراسة المدلول الثقافي للوجهات من خلال عنصرين رئيسيين:أولهما– الطابع العام للواجهات من حيث نوعية التفاصيل، والتي تعكس الاهتمامات والمرجعيات الثقافية لأصحاب القرار في تصميم الغلاف الخارجي، ففي الفترات التي تأثرت المدينة بالثقافات الإسلامية كانت الواجهات مجرد غلاف يفصل الخارج عن الداخل، وكان الاهتمام كله موجها للحياة الداخلية دونما استعراض خارجي، بينما في فترات التحولات الثقافية تعد الطرز والتفاصيل للواجهات بمثابة إعلان عن الهوية الثقافية، فتظهر الواجهات ذات التفاصيل الشرقية في مقابل الواجهات المتأثرة بالطرز الكلاسيكية الغربية، وكل منهما يمكن فهمها كمؤشر لثقافة الجماعة.

ويمثل مستوى التشطيب والتنفيذ العامل الثاني، الذي يمكن التعامل معه كمؤشر لترتيب الأولويات، والتي تعكس الاهتمامات عموما باعتبار ثقافة المجتمع –كما يرى *Rapoport* – فهي تمثل المرشح الذي يختار من خلاله المجتمع بديلا من مجموعة من البدائل الممكنة (تطبيقا على الواجهات).

٥/ الأنماط العمرانية والمعمارية للمناطق السكنية.

النمط العمراني هو منطقة أو حيز عمراني يجمع خصائص بيئية وهندسية واجتماعية واقتصادية واحدة، ويعكس النمط العمراني العلاقة بين الكتل والفراغات، وهذه العلاقة لها ملامح متميزة ومتكررة، أي أن النمط العمراني يتميز بخاصيتين أساسيتين هما (خليل، ١٩٩٧):

- وجود ملامح مميزة للحيز العمراني يكون فيها أي جزء من الحيز هو عينة ممثلة للكل.
- وجود درجة من العمومية أو الانتشار لهذه الملامح.

وعند الحديث عن أنماط المباني السكنية في معظم المدن المتوسطة بصعيد مصر- يجدر التمييز بين الملكية والإشغال في أنواع المباني السكنية على النحو التالي:

- مباني الإسكان الحكومي: يقصد بها في البحث نوعية من العمارات السكنية، تتولي الحكومة مهمة بنائها على أراضي مملوكة للدولة، بينما يشغلها أفراد آخرون، وتنتقل ملكيتها للشاغلين من خلال التأجير التمليكي؛ حيث يقوم الساكن بدفع قيم إيجارية معتدلة على مدي زمني طويل، وبعدها تنتقل ملكية الوحدة السكنية للساكن.
- الإسكان الخاص: يقصد به في البحث أن ملكية المبني تعود لأفراد، وتعد أحد مصادر دخلهم من خلال تأجير الوحدات السكنية لأشخاص آخرين لفترات زمنية متفاوتة، بالإضافة لسكنهم في بعض وحداتها أحيانا.

وبالتالي عند الحديث عن أنماط المباني السكنية في المدن المتوسطة، يمكن القول بأن الغالبية العظمى منها تنتمي للعمائر السكنية متعددة الوحدات، وبينما يندر في الوقت الحالي نمط المساكن الفردية والذي كانت شائعة في فترات قديمة من عمر المدينة، وفي كلتا الحالتين فإن القرارات التصميمية الأساسية في كل ما يتعلق بالمبنى السكني نابعة من المالك، وليس المستخدم.

٦/ دراسة تطبيقية على مدينة جرجا بصعيد مصر.

يتناول هذا الجزء من البحث دراسة مدينة جرجا، التي تقع في صعيد مصر في محافظة سوهاج، حيث تعد واحدة من أكبر مدن صعيد مصر من حيث التعداد والمساحة،إذ يبلغ يتجاوز عدد سكانها ١٢٠ الف نسمة، وتبلغ مساحتها ١٥٧.٥٩ كيلو متر مربع، وقد تم اختيار مدينة جرجا لما تملكه من تاريخ ممتد من العصر الفرعوني، إلى العصر العثماني والمملوكي، إلى العصر المعاصر، مارة بكمية متغيرات سياسية واقتصادية وطبيعية كبيرة، تركت آثارها على النمط العمراني لأحياء المدينة ومبانيها السكنية، حيث تضم المدينة آثاراً فرعونية، ومباني من العصر العثماني، ومباني ترجع إلى عصر الأسرة العلوية، إلى جانب مباني ما بعد الثورة، ومباني حديثة، وهي مباني متجاورة، ولكنها متباينة في تشكيلاتها، ومما ساعد على ذلك أن المدينة تعد محاصرة من ثلاث جهات، بمحددات طبيعية وبشرية، حيث في الشمال المدينة الصناعية لمصانع تكرير وصناعة السكر ، وفي الشرق النيل، وفي الغرب الترعة الإبراهيمية (الفؤادية سابقا)، وفي الجنوب هناك المقابر وما تحمله من جانب نفسي للنفور منه.

(شكل ١): مدينة جرجا بالنسبة لمحافظة سوهاج
http://www.statoids.com/ueg.htm

(شكل ٢): صورة بالقمر الصناعي لمدينة جرجا
http://maps.google.com/

١/٦ الوصف العمراني للمدينة.

تأخذ المدينة الشكل المستطيل في الاتجاه الشمالي – الجنوبي، ويحدها شرقا النيل، وغربا الترعة الفؤادية، وشمالا مصانع السكر، مما عمل على صنع محددات تعوق التنمية والامتداد العمراني للمدينة، وقد أدى ذلك إلى زيادة الكثافة السكانية للمدينة، وإلى الارتفاع الكبير لأسعار العقارات والأراضي، على الرغم من ضيق الشوارع، وقلة الارتفاعات في أغلب المناطق والشوارع في المدينة.

الثروة العقارية بالمدينة: بالإضافة إلى المباني العامة، فإن المباني السكنية بالمدينة يمكن تقسيمها إلى: إسكان خاص، ترجع ملكيته للأهالي، وإسكان حكومي.

والإسكان الحكومي عبارة عن (١٨١) عمارة سكنية متعددة النماذج، بها (٢٦٤٣) وحدة سكنية، بينما الإسكان الخاص(الأهالي)عبارة عن (١٢٠٤٠) عمارة سكنية، النسبة الأكبر منها يبلغ ارتفاعها ٥ أدوار وأكثر، وبها (٣٥٩١٠) وحدة سكنية[١]. ومن هذا الرصد للثروة العقارية في مدينة جرجا يتضح أن الأغلبية العظمى للثروة العقارية للمدينة ٩٨.٦% خاصة بالأهالي، بينما النسبة الأقل خاصة بالإسكان الحكومي (العام)، ومن ثم نستطيع القول إن الثروة العقارية للمدينة مرتبطة بالأهالي، لا بالحكومات، ويمكن اعتباره بيئة مناسبة لدراسة العلاقة بين واجهات المباني السكنية وثقافة ساكنيها.

٢/٦ الأنماط العمرانية والمعمارية للمناطق السكنية.

عند الحديث عن أنماط المباني السكنية في مدينة جرجا –كمثال للمدن المتوسطة بصعيد مصر– يمكن القول بأن الغالبية العظمى منها تنتمي للعمائر السكنية متعددة الوحدات، بينما يندر في الوقت الحالي نمط المساكن الفردية والتي كانت شائعة في فترات قديمة من عمر المدينة، وفي كلتا الحالتين فإن القرارات التصميمية الأساسية في كل ما يتعلق بالمبنى السكني نابعة من المالك ، وليس المستخدم.

١ إدارة الإسكان بالوحدة المحلية لمركز ومدينة جرجا.

يمكن فهم المدن بصورة أفضل من خلال تقسيمها إلى قطاعات، بحيث تكون هذه القطاعات معبرة عن أنماط عمرانية متباينة، فنجد أن النمط العمراني للقلب القديم للمدينة يختلف عن النمط العمراني للأجزاء الحديثة، أو المناطق ذات الكثافة المنخفضة [٣].

من خلال دراسة مدينة جرجا أمكن تقسيم المدينة إلى عدة أحياء ومناطق (شكل ٣)، ولكل حي أو منطقة طابع معماري مميز للواجهات، وتجدر الإشارة إلى أن البحث مهتم بالملامح العامة المشتركة لواجهات المباني السكنية ككل، والتي لها انطباعات ذهنية واضحة، دون التركيز على تحليل الواجهات بصورة فردية.

١ – المدينة السكنية لمصانع سكر جرجا.
٢ – منطقة شيخ العرب.
٣ – منطقة الحوزة وشارع مصطفى كامل.
٤ – القيسارية والمدينة القديمة.
٥ – منطقة شارع السوق ومدخل جرجا.
٦ – منطقة المشوادي.
٧ – منطقة الكورنيش وشارع الصياد.
٨ – منطقة المحطة والحي التجاري.
٩ – منطقة الجزيرة والمشتل.
١٠ – منطقة المساكن.

(شكل ٣): تقسيم أحياء مدينة جرجا طبقا للطابع المعماري والعمراني.

١ – المدينة السكنية لمصانع سكر جرجا: وهي مدينة سكنية مبنية داخل حدود الموقع المخصص للمصنع وملحقاته، وتوفر الإقامة الدائمة للعاملين بالمصنع من أول العمال إلى رئيس مجلس الإدارة، وهي عبارة عن بلوكات مقسمة حسب المستوى الوظيفي (مهندسين – عمال – إداريين) ويظهر الفارق بين المباني في الواجهات وفي المساقط الأفقية للوحدات السكنية (شكل ٤).

(شكل ٤) المدينة السكنية لمصانع سكر جرجا: يتنوع مستوى تصميم وتنفيذ الواجهات حسب المستويات الوظيفية.

٢- منطقة شيخ العرب: وهي منطقة تمتد من سكة القطار الحديدية شرقاً إلى الترعة الفؤادية غربا، وتمتاز هذه المنطقة بأنها بنيت في فترة زمنية متقاربة، منذ السبعينات القرن الماضي إلى سنة ٢٠٠٠م تقريبا، وكانت في البداية أحواضاً زراعية، ثم تم البناء عليها – أي أنها لم تبن وفق مخططات مدروسة – ويلاحظ أن أغلب الملاك في هذه المنطقة قد سافروا إلى دول الخليج. (شكل ٥)

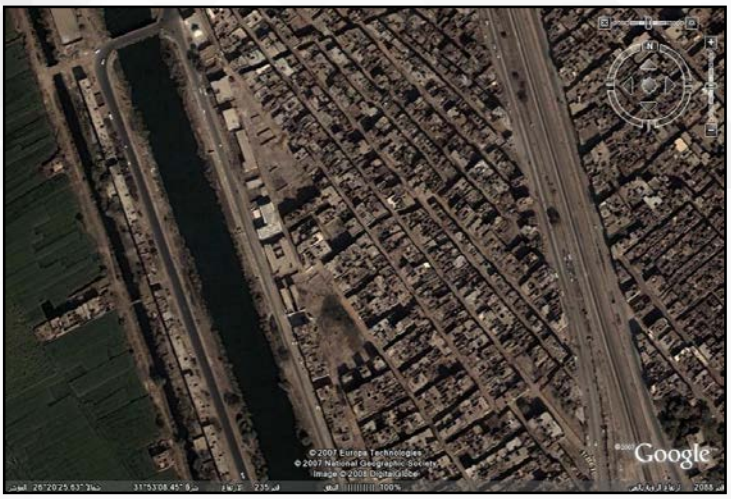

(شكل ٥) منطقة شيخ العرب: ويلاحظ تنوع مستوى الواجهات من حيث الاهتمام بالتصميم أو التشطيب، مع الالتزام بالمتطلبات القانونية من حيث البروزات ونسب الأبراج، ويغلب عليها بساطة التشكيل المعماري وعدم العناية بتشطيب الواجهات إلا في حالة المباني الحديثة.

٤- منطقة الحوزة وشارع مصطفى كامل: يمكن أن نطلق على هذا المنطقة (حي الطبقة فوق المتوسطة) نظرا لطبيعة سكانها، ومستوى المباني بالمنطقة جيد، ويوجد بها أيضا بعض القصور والفيلات، وتمثل المنطقة حلقة الوصل بين وسط المدينة التجاري ومنطقة القصور بشارعي الصياد وبورسعيد، وتتميز بالتخطيط الشبكي لشوارعها. (شكل ٦).

(شكل ٦) منطقة الحوزة وشارع مصطفى كامل: وتضم بعض القصور والمباني القديمة التي تعبر عن المستوى الاقتصادي والثقافي لفئة الملاك الأصليين، إلا أن هذا لم يمنع من ظهور مجموعة من المباني الحديثة على أنقاض بعض تلك القصور وبمستوى واجهات أقل من حيث التصميم والتنفيذ.

٤- القيسارية والمدينة القديمة: يعد هذا الحي مقتصرا علي أهل مدينة جرجا بنسبة ١٠٠% كما أن كل ملاك المباني السكنية في هذا الحي هم سكانه الأصليون، والمنطقة أثرية بأكملها، وتمتاز بالنسيج العمراني المتضام، ويعد سكان هذا الحي الأكثر تأثرا بالثقافة الموروثة والعادات والتقاليد، مما ترك أثره علي واجهات مساكن هذه المنطقة وتفاصيلها. (شكل ٧)

(شكل ٧) منطقة القيسارية والمدينة القديمة: يلاحظ أن نسبة المباني الحديثة لا تذكر بالنسبة إلى المباني القديمة، وغالبية المباني يرجع تاريخ بنائها إلى النصف الأول من القرن العشرين، ويغلب على واجهات مبانيها السكنية البساطة والتداعي بفعل الزمن.

٥- منطقة شارع السوق ومدخل جرجا: وتشغل هذه المنطقة الجزء الجنوبي الغربي من المدينة، ويعد شارع السوق امتداداً لشارع المحطة، وتتميز بأنها ذات طابع شرقي مميز في المباني، حيث يغلب عليها واجهات مبانيها الخشب المشغول والعناية بالتفاصيل، إلا أنها كغيرها من المناطق شهدت عمليات هدم لعدد كبير من المباني، وبُني مكانها عمارات حديثة، وأغلب المباني القديمة بالمنطقة تم إزالة أدوارها العلوية. (شكل ٨)

(شكل ٨) شارع السوق ومدخل مدينة جرجا: تتميز هذه المنطقة بأنها ذات طابع شرقي مميز في الواجهات، إلا أنها كغيرها من المناطق شهدت عمليات هدم لعدد كبير من المباني واستبدالها بمباني سكنية حديثة لها طابع مختلف.

٦- منطقة المشواي: وهي المنطقة المحصورة بين السكة الحديد غربا وأرض محلج القطن شرقا، وبين أرض مدرسة الزراعة جنوبا وامتداد مصنع السكر شمالا، وهي منطقة يغلب عليها الفيلات والعمارات عالية الجودة، وهي منطقة حديثة المنشأ حيث لم يمر عليها أكثر من ١٥ سنة، إذا استثنينا المستشفى العام والمعهد الأزهري. (شكل ٩)

(شكل ٩) منطقة المشواي: تعدهذه المنطقة أجدد منطقة في المدينة، وهي خليط من الفيلات الفاخرة والعمارات السكنية، والواجهات متنوعة من حيث الطرز ومستوى التشطيبات، حيث يغلب عليها الاهتمام بمستوى تصميم وتنفيذ الواجهات

٧- منطقة الكورنيش وشارع الصياد: وهذه المنطقة كانت أحد مناطق تمركز الأثرياء والإقطاعيين في فترة ما قبل ثورة ١٩٥٢، وهي طبقة أرستقراطية ذات ثقافة غربية ومستوى اقتصادي ميسور، اهتمت ببناء بيوتها وقصورها علي الطراز الأوروبي، من حيث الأعمدة و الحليات،

وحافظت المنطقة على طابعها المعماري المميز إلى حد ما؛ وإن كانت كغيرها من الأحياء في المدينة زحفت عليها المباني الحديثة بعد هدم القصور والفيلات القديمة، مما أدى إلى حدوث تغير في طابعها. (شكل ١٠)

(شكل ١٠) منطقة الكورنيش وشارع الصياد: وتكثر في هذه المنطقة القصور السكنية، والتي بُني غالبها في الفترة من أواخر القرن التاسع عشر وحتى سبعينات القرن العشرين، وواجهات المباني في تلك المنطقة ذات طابع كلاسيكي، بطرز معمارية متنوعة نظرا لبناء المنطقة على مدي زمني كبير.

٨- منطقة المحطة والحي التجاري: وهي مركز المنطقة التجارية، حيث المحلات التجارية وتوكيلات الجملة، ولا تخلو من بعض القصور المتبقية بعد هدم البعض الآخر، وتتضمن هذه المنطقة خليطا من الطرز المعمارية، بداية من القصور التاريخية، إلى البنوك، إلى المباني الإدارية الحديثة، إلى جانب منازل الأهالي، ويغلب على أدوارها الأرضية الاستخدامات التجارية. (شكل ١١)

(شكل ١١)

منطقة المحطة والحي التجاري: وهي منطقة لا تخلو من بعض المباني القديمة ذات الواجهات المتميزة والتي تعبر عن ثقافة فترة زمنية، تميزت بالاهتمام بواجهات المباني وتفاصيلها.

٩- منطقة الجزيرة والمشتل: بدايات منطقة الجزيرة ترجع إلى سبعينات القرن العشرين، وتلتها بفترة منطقة المشتل في الثمانينات، وكانت المنطقة في بدايتها عبارة عن أحواض زراعية، تُغمر وقت الفيضان، وتُزرع في وقت انحسار الفيضان، إلا أن المنطقة بعد بناء السد العالي أصبحت أرضي زراعية طوال العام، وبدأ التعدي على هذه المنطقة بالتدريج إلى أن تم بناؤها كلها. (شكل ١٢)

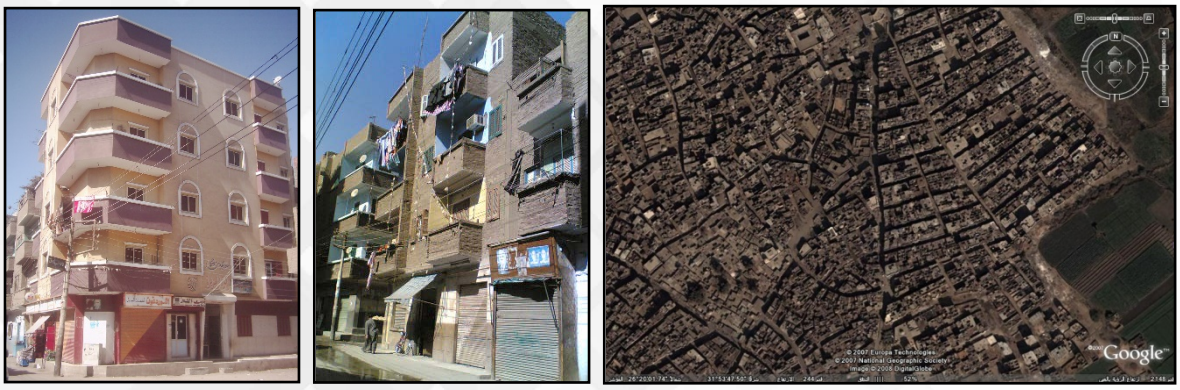

(شكل ١٢) منطقة الجزيرة والمشتل: ويغلب على واجهات مبانيها السكنية البساطة، مع وضع تشطيب الواجهات في مرتبة متأخرة للاهتمام، وتصميم الواجهات يكاد يكون متطابقا، وله فكرة واحدة هي وضع البلكونات في الأطراف.

١٠- المساكن: وهي عبارة عن شريط طولي على شرق وغرب الترعة الفؤادية، وتتكون من عدد من العمارات السكنية الحكومية، يصل عددها إلى ١٨٢ عمارة بمستويات متعددة (منخفض التكاليف/ اقتصادي/ إيواء/ .....).

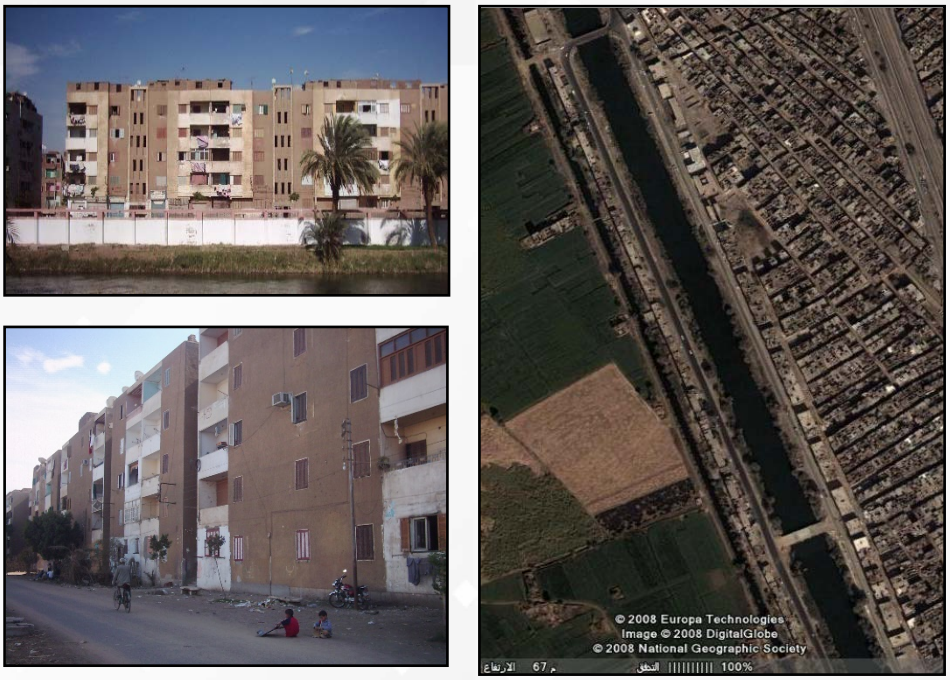

(شكل ١٣) المساكن: واجهات المباني السكنية في تلك المنطقة مثل أغلب المساكن الحكومية على مستوى الجمهورية من حيث الفقر في التشكيلات والتشطيبات، وتعكس الرؤى الاشتراكية للعصر الاشتراكي في فترة ستينات القرن العشرين.

من العرض السابق لمناطق مدينة جرجا يمكن تقسيم المناطق السكنية حسب نمط الواجهات إلى ثلاثة مجموعات:

- المجموعة الأولى: وتشمل المساكن الحكومية الخاصة بالشركات، وتعبر عن رؤية الشركة، من حيث الاهتمام بالتنوع باختلاف المستوى الوظيفي لسكانها، وليس المستوى الثقافي لهم، كما تتضمن تلك المجموعة العمارات الحكومية، التي لا يمكن الربط بين طابع واجهاتها وثقافة سكانها، وهي في الغالب تعكس الرؤى الاشتراكية لفترة ستينات القرن العشرين، من حيث الاقتصاد في التكلفة والنماذج الموحدة.
- المجموعة الثانية: وتتضمن المناطق التي بنيت في الفترات القديمة قبل سبعينات القرن العشرين،و يمكن الربط بين ثقافة سكانها وطابع واجهاتها، ويظهر ذلك جليا عند مقارنة واجهات مساكن منطقة القيسارية ذات الطابع الشرقي والتخطيط المتضام، وعدم التركيز على الواجهات الخارجية، في مقابل منطقة الكورنيش وشارع الصياد التي عبرت واجهات مساكنها عن ثقافة الطبقة الأرستقراطية من الإقطاعيين والأثرياء ، الذين حرصوا على أن تكون مساكنهم ذات طابع غربي كلاسيكي، من حيث استخدام المفردات، والحرص على التعبير الخارجي المميز للواجهات.
- المجموعة الثالثة: وتشمل معظم المناطق التي بنيت بعد السبعينات على امتدادات زراعية، أو التي بنيت على أنقاض مساكن قديمة تم هدمها، وهذه المناطق لها نفس الطابع تقريبا من حيث عدم الاهتمام بتصميم الواجهات، والاهتمام الأكبر في منطقة الدراسة موجه نحو تملك منزل مستقل، وإن كان هذا لا ينفي وجود مناطق، ظهر فيها اهتمام وعناية بالواجهات، نتيجة ارتفاع أسعار الأراضي واجتذابها لنوعية معينة من السكان تبحث عن مستوى مميز في المباني التي تسكنها.

ويتضمن (جدول ١) تحليلا مقارنا لأهم ملامح الواجهات لمناطق المدينة.

جدول ١: الملامح العامة المشتركة لواجهات المساكن للمناطق المختلفة بمدينة جرجا

	المنطقة	نمط الملكية	نوع المباني	الملامح العامة لواجهات المساكن	ملاحظات
المجموعة الأولى	المدينة السكنية لمصانع سكر جرجا	حكومي	عمارات سكنية متعددة الوحدات.	- تصميم الواجهات مرتبط بالتفاصيل الشائعة في فترة بناء المساكن. - تتنوع التفاصيل ومستوى التشطيب والتنفيذ حسب المستوى الوظيفي للساكن المخصص له الوحدة السكنية.	- طبيعة تلك النوعية من المباني لا تسمح بمشاركة السكان بأي نوع في اتخاذ القرارات التصميمية الخاصة بالمبنى. - لا يمكن الجزم بوجود علاقة بين المستوى الثقافي للساكن وواجهة المبنى السكني.
	المساكن	حكومي	عمارات سكنية متعددة الوحدات	تصميم الواجهات مرتبط بنماذج محددة، ويختلف مستوى التشطيب والتنفيذ باختلاف الجهة المالكة.	- طبيعة تلك النوعية منن المباني لا تسمح بمشاركة السكان بأي نوع في اتخاذ القرارات التصميمية الخاصة بالمبنى. - لا يمكن الجزم بوجود علاقة بين المستوى الثقافي للساكن وواجهة المبنى السكني.
المجموعة الثانية	القيسارية والمدينة القديمة	خاص	مساكن متعددة الأسر داخل المبنى الواحد.	نسبة المباني الحديثة فيها قليلة، وغالبية المباني السكنية يرجع تاريخ بنائها إلى النصف الأول من القرن العشرين، وهي مجرد غلاف للفراغات الداخلية ويغلب على واجهات مبانيها السكنية البساطة والتداعي بفعل الزمن.	ارتبطت الملامح العامة للواجهات بثقافة فترة زمنية، تولي اهتماما بداخل المسكن أكثر من خارجه.

جدول ١: الملامح العامة المشتركة لواجهات المساكن للمناطق المختلفة بمدينة جرجا

	المنطقة	نمط الملكية	نوع المباني	الملامح العامة لواجهات المساكن	ملاحظات
	شارع السوق ومدخل جرجا.	خاص	مساكن متعددة الأسر داخل المبنى الواحد.	المباني القديمة تتميز بأنها ذات طابع شرقي، ويغلب على واجهات مبانيها الخشب المشغول والعناية بالتفاصيل، إلا أنها كغيرها من المناطق شهدت عمليات هدم لعدد كبير من المباني، وبني مكانها عمارات حديثة، ليس لها أي ملامح مميزة.	ارتبطت الملامح العامة للواجهات بثقافة فترة زمنية، ارتبطت بالتراث الشرقي.
	المحطة والحي التجاري	خاص	خليط من مساكن فردية، ومساكن متعددة الوحدات السكنية.	الواجهات خليط من الطرز المعمارية التي تميز القصور التاريخية، بينما المباني متعددة الوحدات يغلب على واجهاتها الاهتمام بالتفاصيل والعناية بالتنفيذ.	ارتبطت الملامح العامة للواجهات بثقافة فترة زمنية، تميزت بالتنوع الثقافي والعناية بالتفاصيل، سواء في المساكن الفردية أو الجماعية، والتي ترجع ملكيتها لفرد واحد، والسكان مستأجرون.
	الكورنيش وشارع الصياد	خاص	يغلب عليها القصور السكنية والمساكن الفردية الخاصة.	واجهات المساكن ذات طابع كلاسيكي، بطرز معمارية متنوعة؛ نظرا لبناء المنطقة على مدي زمني كبير.	ترجع ملكية المباني في هذه المنطقة للأثرياء والإقطاعيين في فترة ما قبل ثورة ١٩٥٢، وهي طبقة أرستقراطية ذات ثقافة غريبة ومستوى اقتصادي ميسور اهتمت ببناء بيوتها وقصورها على الطراز الأوروبي.
المجموعة الثالثة	الحوزة وشارع مصطفى كامل	خاص	عمارات سكنية متعددة الوحدات، وبعض القصور القديمة	القصور القديمة تميزت واجهاتها بالفخامة والثراء في التشطيبات، على عكس المباني الحديثة التي حلت محل أغلب القصور، والتي تفتقد للعناية بتصميم الواجهات وتشطيبها.	واجهات المباني في تلك المنطقة تعد مثالا واضحا للمقارنة بين انعكاس ثقافة فترتين من عمر المدينة على واجهات مبانيها السكنية.
	المشوادي	خاص	عمارات سكنية متعددة الوحدات، وبعض المساكن الفردية الخاصة (فيلات)	الواجهات متنوعة من حيث الطرز ومستوى التشطيبات، ويغلب عليها الاهتمام بمستوى تصميم وتنفيذ الواجهات	نتيجة لارتفاع سعر الأرض في تلك المنطقة، فقد جذبت نوعية من السكان لديهم اهتمام بالتعبير عن مستوى اجتماعي مميز من خلال واجهات المساكن؛ سواء كانوا سكانا أو ملاكا.
	الجزيرة والمشتل	خاص	عمارات سكنية متعددة الوحدات.	تصميم الواجهات متماثل، ويكاد يكون متطابقا، وله فكرة واحدة، ومستوى الاهتمام بتشطيب الواجهات يختلف من مبنى لآخر.	الواجهات في هذه المنطقة تعبر عن ثقافة الاهتمام بالاقتصاد والتوفير على حساب المستوى بالنسبة للملاك، والعلاقة بينها وبين السكان لا يمكن إثباتها أو نفيها.

جدول ١: الملامح العامة المشتركة لواجهات المساكن للمناطق المختلفة بمدينة جرجا

المنطقة		نمط الملكية	نوع المباني	الملامح العامة لواجهات المساكن	ملاحظات
	شيخ العرب	خاص	عمارات سكنية متعددة الوحدات.	تنوع مستوى الواجهات من حيث الاهتمام بالتصميم أو التشطيب، مع الالتزام بالمتطلبات القانونية من حيث البروزات ونسب الأبراج، ويغلب عليها بساطة التشكيل المعماري وعدم العناية بتشطيب الواجهات إلا في حالة المباني الحديثة	الواجهات في هذه المنطقة تعبر عن ثقافة الاهتمام بالاقتصاد والتوفير على حساب المستوى بالنسبة للملاك، والعلاقة بينها وبين السكان لا يمكن إثباتها أو نفيها.

في الجزء التالي سيتم عرض ملخص لدراسة أكثر تفصيلا لمنطقتين[٢] تم بنائهما على امتدادات زراعية للمدينة في فترة متقاربة.

٣/٦ منطقة شيخ العرب ومنطقة المشوادي كنموذج.

تم اختيار منطقتي شيخ العرب والمشوادي كنموذج لاختبار فرضية البحث، حيث إن المنطقتين تم البناء فيهما في فترات متقاربة (العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي)، غير أن منطقة شيخ العربي يغلب عليها العمارات السكنية ذات الواجهات متقاربة المستوى من حيث التشكيل والتشطيب، بينما منطقة المشوادي يغلب عليها العمارات ذات الجودة المرتفعة نسبيا بالإضافة لبعض الفيلات (المساكن المستقلة التي تخص أسرة واحدة).

اعتمدت الدراسة على الزيارات الميدانية والرفع من خلال التصوير الفوتوغرافي لواجهات نماذج من المباني السكنية في كل منطقة، وروعي أن تكون ممثلة لغالبية واجهات المنطقة، وكذلك تم توزيع استبانة على عينة عشوائية من سكان كل منطقة (في حدود الوقت والإمكانات المتاحة حيث تم ملء الاستمارة من خلال المقابلة الشخصية) بهدف تكوين تصور مبدئي لطبيعة سكان المنطقة والمستوى الثقافي لهم؛ في محاولة لاستنتاج العلاقة بين المستوى الثقافي للسكان بالمنطقة وواجهات مبانيهم السكنية.

١/٣/٦ منطقة شيخ العرب.

منطقة شيخ العرب (شكل ٥) ، برغم كبر مساحتها إلا أنها قد أنشئت خلال فترة زمنية وجيزة، وهي فترة ما بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م؛ وهي الفترة التي ارتبطت بسفر أهل المدينة والقرى المجاورة إلى دول الخليج للعمل، ونتيجة لعدم القدرة على الحصول على أراض ومنازل في المدينة القديمة؛ نظرا لعدم توافر أراض خالية والارتفاع الكبير في الأسعار للأراضي في قلب المدينة – في حالة توافرها – لجأ الأهالي للبناء في أحياء غير مخططة في المنطقة غرب جرجا، والتي كانت عبارة عن أحواض زراعية في البداية، وخلال ٢٠ عام تم بناء المنطقة كلها تقريبا، ويلاحظ أن النمط التخطيطي للشوارع يحترم حدود الأحواض الزراعية، دون ارتباط بتخطيط المدينة القديمة، ويلاحظ أن واجهات المنازل شديدة الشبه ببعضها، سواء من حيث التصميم، أو المفردات المستخدمة، أو مستوى التشطيب.

وللتعرف على طبيعة سكان المنطقة تم توزيع استبانة على عينة من السكان المنطقة[٣]، ويمكن تلخيص أهم النتائج فيما يلي:

- بلغت نسبة حملة المؤهلات العليا ٥٦.٥ % من إجمالي العينة، بينما بلغت نسبة من يحمل مؤهل أقل من الجامعي ٤٣.٥%.
- نسبة الذين سافروا إلى الخارج حوالي ٥٠% من إجمالي العينة.
- نسبة الملاك بلغت ٦٠% ،بينما بلغت نسبة المستأجرين ٤٠%.

٢ الدراسة ملخص لجزء من دراسة تمت لجميع مناطق المدينة.

٣ عدد العينة ٣٠، مرفق تفريغ الاستمارات (ملحق ١).

- نسبة الملاك الذين سافروا للخارج ٧٢% من إجمالي العينة، بينما بلغت نسبة الملاك الذين لم يسافروا ٢٨%.
- نسبة المستأجرين الذين سافروا ١٧% من إجمالي العينة، بينما نسبة المستأجرين الذين لم يسافروا ٨٣%.
- نسبة الملاك الذين بنوا منازلهم ٧٨% ،بينما نسبة الملاك الذين اشتروا منازلهم ٢٢%.
- بالنسبة لتاريخ البناء بلغت نسبة المنازل المبنية في الفترة من ١٩٧٥-١٩٩٠ (٤٠%) من إجمالي المباني في المنطقة، بينما بلغت نسبة المنازل التي بنيت بعد عام ١٩٩٠(٦٠%).
- يغلب على سكان المنطقة ارتفاع مستوى التعليم (تعليم جامعي ٥٦.٦% من العينة، تعليم متوسط وفوق متوسط ٣٦.٦% من العينة).
- مستوى الثقافة عموما غير مرتبط بمستوى التعليم، ويتضح ذلك من انخفاض عدد المهتمين بالقراءة بصفة عامة، ومن نوعية الأغاني التي يستمعون لها.

من النتائج السابقة يظهر تأثير الهجرة الكبير على حركة عمران هذا الحي، وذلك من نسبة الملاك الذين سافروا (٧٢%)، كما يلاحظ تأثير العادات والتقاليد، من حيث الحرص على تملك منزل خاص (٦٠%)، وليس وحدة سكنية (شقة)، وعدم التفريط في هذا العقار، فإذا أضفنا إلى ذلك أن الغالبية قد قاموا ببناء المساكن (٧٨%)، ومن ثم يمكن القول إن غالبية المباني تعبر عن ثقافة الملاك وليس السكان.

رغم الارتفاع النسبي لعدد السكان الحاصلين على مؤهلات العليا فإن ذلك لم يؤثر على الاهتمام بواجهات المباني، فالاهتمام بالتشطيبات يعد قليلا؛ إلا في حالة العمارات الجديدة، وذلك لصدور قرارات بعدم توصيل الكهرباء إلا بعد تشطيب الواجهة، أي أن الاهتمام بالواجهات لم يكن نتيجة لاختيار شخصي.

ويوضح (شكل ١٤) نماذج لواجهات المباني بهذه المنطقة، والتي يغلب عليها بساطة التشكيل المعماري، وعدم العناية بتشطيب الواجهات إلا في حالة المباني الحديثة، بينما أغلب الواجهات تركت على الطوب، على الرغم من ارتفاع مستوى دخل مالكي العقارات، كما يلاحظ الالتزام بالقوانين من حيث البروزات والارتفاعات، مع الاستفادة القصوى من المساحات، ويرجع ذلك لارتفاع أسعار الأراضي.

(شكل ١٤): نماذج لواجهات المساكن في منطقة شيخ العرب

٢/٣/٦ منطقة المشوادي.

منطقة المشوادي (شكل ٩) هي المنطقة المحصورة بين السكة الحديد غربا وأرض محلج القطن شرقا، وبين أرض مدرسة الزراعة جنوبا وامتداد مصنع السكر شمالا، وهي منطقة يغلب عليها الفيلات والعمارات عالية الجودة، وهذه المنطقة من أحدث مناطق مدينة جرجا، وتتفاوت المباني السكنية بالمنطقة ما بين فيلات فاخرة إلى عمارات مملوكة للأهالي، كما تتفاوت نوعيات تشطيبات الواجهات، وإن كان يغلب عليها التشطيبات الجيدة، ويلاحظ أن نمط تخطيط شوارعها يحترم نمط حدود الأحواض الزراعية.

تم توزيع استبانة على عينة من سكان المنطقة[٤]، ويمكن تلخيص أهم النتائج فيما يلي:

- بلغ نسبة حملة المؤهلات العليا ٦٦% من إجمالي العينة، بينما بلغت نسبة من يحمل مؤهلات أقل من الجامعي ٣٤%.
- نسبة الذين سافروا إلى الخارج حوالي ٥٠% من إجمالي العينة، وهي نفس نسبة الذين لم يسافروا.
- نسبة الملاك بلغت ٦٠% ، بينما بلغت نسبة المستأجرين ٤٠%.
- بلغت نسبة الذين أصل أسرتهم من مدينة جرجا ٤٠% في مقابل ٦٠% أصلهم من خارج المدينة.
- نسبة الملاك الذين سافروا للخارج ٥٠% من إجمالي العينة، وهي نفس نسبة الذين لم يسافروا.
- نسبة المستأجرين الذين سافروا ٥٠% من إجمالي العينة، وهي نفس نسبة الذين لم يسافروا.
- نسبة الملاك الذين بنوا منازلهم ٩٠% ، بينما نسبة الملاك الذين اشتروا منازلهم ١٠%.
- بالنسبة لتاريخ البناء بلغت نسبة المنازل المبنية من سنة ٧٥-٩٠ نسبة ١٢% ، بينما ٨٨% للمنازل التي بنيت بعد عام ١٩٩٠.

من النتائج السابقة يظهر أنه بالرغم من أن عمر هذا الحي حديث نسبيا (تم بناؤه في فترة انتشار السفر للعمل في الخارج وفي نفس فترة نشأة منطقة شيخ العرب) إلا أن نسبة الذين سافروا إلى الخارج من ملاك المنازل تعد متوسطة ، ويرجع ذلك غالبا للارتفاع الكبير في أسعار أراضي هذا الحي، فلم يستطع الذين سافروا إلى الخارج تملك أراض في هذا الحي، فضلوا عليه شيخ العرب أو الجزيرة أو المشتل.

ظهرت فكرة الإيجارات والتي تعد حديثة نسبيا في مدينة جرجا فبلغت نسبة المستأجرين ٤٠% من حجم العينة، وهو ما يشير إلى أن السكان ليس لهم تأثير مباشر على نمط وطابع واجهات المنطقة.

تعد واجهات هذا الحي خليطا بين عدة طرز ، حيث يوجد بها البرامق والحليات النوبية والأعمدة الإغريقية، كما يوجد واجهات خالية من أي حليات، ونستطيع أن نرجع ذلك إلى عاملين (الثقافي والاقتصادي) للملاك، وليس السكان.

ويوضح (شكل ١٥) نماذج لواجهات المباني السكنية بالمنطقة ويظهر الاهتمام بمستوى تشطيب الواجهات والعناية بتفاصيلها.

(شكل ١٥): نماذج لواجهات المساكن في منطقة المشوادي

[٤] عدد العينة ١٦، مرفق تفريغ الاستمارات (ملحق ٢).

٧/ النتائج.

من خلال ما تم عرضه في البحث يخلص البحث إلى النتائج التالية:

- لتصميم واجهات المباني السكنية التي تتضمن وحدات سكنية متعددة خصوصية، تميزها عن المساكن الفردية الخاصة والمباني العامة، فهي لا تتيح للمصمم الحرية في التشكيلات، نتيجة للقيود الاقتصادية والتنظيمية، والتي تقلل من الخيارات المتاحة للمصمم، وهو ما يوجد نوعا من التشابه بين الواجهات، ويقلل من فرص تضمينها أي دلالات رمزية خاصة.
- يمكن النظر للبيئة السكنية كانعكاس للثقافة والقيم والعلاقات الاجتماعية والبيئية، ويمكن التعامل معها كنافذة لفهم الثقافة، وواجهات المباني السكنية في منطقة أو جزء من المدينة من الممكن أن تعطي دلالة عن ثقافة فترة زمنية أو طبقة اجتماعية، لكنها ليست ذات دلالة مباشرة لثقافة سكانها كأفراد.
- رغم وجود نسبة كبيرة من المباني السكنية في منطقة الدراسة مملوكة للأفراد – في ظل ثقافة أهل المنطقة والتي تجعل تملك مسكن في مقدمة أولوياتها – إلا أن الاهتمام بالواجهات يأتي في مرتبة متأخرة، في ظل ارتفاع أسعار الأراضي وارتفاع تكلفة البناء، وفي الحالات التي تم الاهتمام بتشطيب الواجهات كان ذلك تحت ضغط الجهات الرسمية، ولم يكن اختيارا شخصيا للمالك، وحرص على أن يكون بأقل تكاليف ممكنة، ويبدو ذلك واضحا في مناطق امتدادات المدينة، وهو ما يثير ثقافة مجتمع الدراسة، وتؤثر على ترتيب أولوياتها.
- لا يمكن إيجاد علاقة مباشرة بين مستوى التعليم والمستوى الثقافي، وهو ما أشارت إليه نتائج الاستبانة الذي تم إجراؤها على عينة عشوائية من منطقة الدراسة، مع الإشارة إلى أن الاستبانة تحتاج تطوير وزيادة حجم العينة.
- قد تكون هناك علاقة غير مباشرة بين المستوى الثقافي للسكان وواجهات مسكنهم، إلا أن هذه الفرضية لا يمكن إثباتها في ظل أن نسبة كبيرة من سكان المناطق السكنية بالمدينة المصرية عموما ومنطقة الدراسة خصوصا هم مستأجرون؛ ولم يكن لهم أي تأثير على تصميم واجهات المباني التي تضم مساكنهم.
- أساليب الحكم على المستوى الثقافي لمجموعة كبيرة من السكان متنوعي الخلفيات الاجتماعية والمستويات التعليمية تحتاج لمزيد من الدراسات التفصيلية.

المراجع:

- **أكبر، جميل عبد القادر**. *عمارة الأرض في الإسلام*. الطبعة الأولى. جدة، المملكة العربية السعودية: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٩٩٢.
- **خليل، منال مُحَمَّد أسامة**. "انعكاس الثقافات الوافدة على العمارة والعمران في مصر مع ذكر خاص لمدينة القاهرة – ضاحية المعادي." رسالة ماجستير، قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، ١٩٩٧.
- **سعد، عبد الحميد محمود**. *دراسات في علم الاجتماع الثقافي*. القاهرة، مصر: نهضة الشرق، ١٩٨٠.
- **عبد الفتاح، هشام خيري**. "القيم الثقافية والاجتماعية والنتاج المعماري – ذكر خاص للفراغات المفتوحة المتصلة بالمسكن." رسالة ماجستير، قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، ١٩٩٤.
- **كوش، دنيس**. مفهوم *الثقافة في العلوم الاجتماعية*. ترجمة: منير السعيداني. بيروت، لبنان: المنظمة العربية، ٢٠٠٧.
- **مرغني، عزت عبد المنعم**. "تأثير الأبعاد الاجتماعية على نمط وتكلفة المسكن"، *ندوة الإسكان ٢، المسكن الميسر*، الهيئة العليا لتطوير الرياض، المملكة العربية السعودية، مارس ٢٠٠٤.

- **مرغني، عزت عبد المنعم**. "التعديلات في واجهات المباني السكنية كمؤشر لمناسبة التصميم"، *مجلة العلوم الهندسية*، (www.jes.aun.edu.eg)، المجلد ٤١، العدد (٢)، (٢٠١٣).
- **مصطفى، مصطفى غريب**. "ضوابط ومؤشرات لغة الشكل والتشكيل المعماري والعمراني مع ذكر خاص لحالة مدينة القاهرة – حي الظاهر." رسالة ماجستير، قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، ١٩٩٦.
- **ممتاز، ريهام إبراهيم**. "الأبعاد الثقافية لجماليات التشكيل المعماري." رسالة ماجستير، قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣.
- إدارة الإسكان بالوحدة المحلية لمركز ومدينة جرجا.
- **Bonta, Juan Pablo.** 1980. “Architectural Semiotics: the State of the Art”. In *Proceedings of ACSA 68th Annual Meeting, Language in Architecture*, edited by John Meunier, 8-13. Washington, D.C.: ACSA.
- **Doxtater, Dennis.** 1980. “The Non-Language of Architecture”, In *Proceedings of ACSA 68th Annual Meeting, Language in Architecture*, edited by John Meunier, 26-33. Washington, D.C.: ACSA.
- **Eco, Umbero.** “Function and Sign: The Semiotics of Architecture”, In *Rethinking Architecture A reader in cultural theory*, edited by Neil Leach, 173-195. London and New York: Taylor & Francis e-Library, 2005.
- **Rapoport, Amos.** *House Form and Culture*. London, England: Prentice-Hall. Inc., 1969.
- **Widdowson, William.** 1980. “Language, Architecture and Analogy”. In *Proceedings of ACSA 68th Annual Meeting, Language in Architecture*, edited by John Meunier, 152-153. Washington, D.C.: ACSA.
- الصور الجوية: (http://maps.google.com/)
- جميع الصور الفوتوغرافية من تصوير الباحث الثاني من خلال الدراسة الميدانية للحالة الدراسية.